تحقيق في سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب

للدكتور البير زكي اسكندر

مما لا شك فيه ان المؤرخين أجمعوا على الاشادة بالرازي الطبيب ، فقال ابن النديم : إن ابا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره وفريد عصره »[١] ، وذكر ابن القفطي انه « طبيب الاسلام غير منازع »[٢] ، وسماه ابن ابي اصيبعة « جالينوس العرب »[٣] .

وغرضنا في هذا البحث تقييم سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب — تلك الحقيقة التي أغفلها بعض الكتاب ، وجانب بعضهم التوفيق فتنكب طريق الصواب .

يقول البيروني ان الرازي وُلد في الري في غرة شعبان سنة احدى وخمسين ومائتين ، وانه توفي بها في الخامس من شعبان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وكان قد بلغ من العمر اثنتين وستين سنة قمرية وخمسة ايام ، او ستين سنة شمسية وشهرين ويوماً واحداً[٤] . هذا ولم نعثر في كتب الرازي على أية نصوص تؤيد ما ذكره البيروني عن تاريخ مولد الرازي ، ولكن هناك اشارات متفرقة الى مدينة الري ، فمثلاً منها ان الرازي دوّن في كتاب الخواص ملاحظات شاهدها في مسقط رأسه ، قال :

« قد رأيت بالرى حجراً اشبه شيء بالنارجيل ، فيه ثقب وعليه ليف وفي جوفه متحرك كما يتحرك النارجيل في جوفها . قال ارسطاطاليس في كتاب الحيوان الناطق : إنّ هذا الحجر ان علقته على المرأة سهّل ولادتها بلا وجع البتة »[٥] .

ولكنه من العسير ان نقرر متى كتب الرازي كتاب الخواص ، وهل دوّن هذه الملاحظات بالرى او ببلد آخر ؟

---

١) الفهرست ص ٢٩٩ س ٢ .
٢) ابن القفطي ص ٢٧١ س ١٦ .
٣) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ٣١ .
٤) البيروني ص ٤ ، ٦ .
٥) مخطوط أوروبي ١٣٢ وجه س ٦ — ٨ .

وفي مخطوط بمكتبة بودليانا باكسفورد يوجد دليل واضح على ان الرازي درس الطب في شبابه في بيمارستان بغداد[1] . ومن المحتمل أن يكون قد طال مقامه بمدينة السلام ، فقد طالعنا الرازي بانه لا بد للطبيب من اكتساب الخبرة بالمران العملي في مدن مزدحمة، حيث تنتشر الامراض ويعمل الكثير من الاطباء . يقول الرازي في محنة الطبيب ، في كتابه الطب المنصوري :

فان كان قد[2] أطال (الطبيب)[(أ)] صحبة هؤلاء القوم[(أ)] (أي المتكلمين والمناظرين) ، واكتسب منهم حظاً من القوة على البحث والنظر ،[(ب)] فينبغي ان ينظر هل هو[3] ممن يفهم ما يقرأ[4] ، او بالضد ؟

واذا كان ممن يقرأ الكتب ويفهمها[(ب)] ، فينبغي ان ينظر هل شاهد المرضى وتقلبهم[5] ، وهل كان ذلك[6] منه في المواضع المشهورة بكثرة[7] الاطباء والمرضى أم لا[8] ؟ »

وان كنا لا ندري شيئاً عن طول مكث الرازي ببغداد ، الا انه من المعقول ان نقترح ان مقامه كان طويلاً في عاصمة العالم الاسلامي في ذلك الوقت. اذ ان النص المخطوطي الذي عثرنا عليه يفيد انه تعلم الطب في حداثته ببغداد، ويشير المؤرخون ايضاً الى انه عاد الى مسقط رأسه : الري ، طبيباً لحاكمها ، ثم ليصبح كبيراً لاطباء بيمارستان الري الجديد[9] . والمعروف ان ابا صالح منصور

---

١) انظر هذا المقال ص ١٦٤ .
٢) قد : ساقطة من د س ٣ .
(أ – أ) صحبتهم : ج س ٦ .
(ب – ب) ساقطة من ج س ٧ .
٣) أهو : ب س ١٣ .
٤) عما يقرو : ب س ١٣ .
٥) او قلبهم : ج س ٧ .
٦) ذلك : ج س ٨ .
٧) بكثرة من : ب س ١٥ .
٨) مخطوط ب ورق ٩٩ ظهر س ١٢ – ١٠٠ وجه س ١ ،
مخطوط ج ورق ٣٩ ظهر س ٦ – ٨ ،
مخطوط د ص ١٢١ س ٣ – ٦ .
٩) ابن القفطي ص٢٧١ س٢١ – ص ٢٧٢ س٥ ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣١٠ س٢٢

ابن اسحق بن احمد بن اسد كان حاكماً للري في ذلك الوقت[١] (٢٩٠–٢٩٦هـ/ ٩٠٢–٩٠٨ م) . ودليلنا على ان الرازي كان مقيماً بالري حينذاك مأخوذ من صدر احد كتبه : كتاب الطب الروحاني، حيث يقول المؤلف انه بعد عودته من بغداد ألّف هذا الكتاب وأهداه الى الحاكم الذي اهدى له كتابه : الطب المنصوري[٢] . وعلى ذلك فمن المحتمل ان يكون الرازي قد عاد من بغداد الى الري بعد ان اكتسب خبرة كافية ومرانا كثيراً يؤهلانه للقيام باعباء اكبر منصب طبي في الري ، وقد كانت سنه على الارجح بين السابعة والثلاثين ، والثالثة والاربعين حينما كان كبيراً لاطباء مارستان الري[٣] ، ونعلم ايضاً انه دبر مارستان بغداد بعد ذلك بزمان[٤] . ولو اننا نجهل مدة اقامته الثانية في بغداد ، الا انه قيل ان الرازي عاد ثانية الى الري وأصيب بداء نزل في عينيه أفقده البصر[٥] ، وقضى نحبه هناك .

دليل على ان الرازي شغل بدراسة الطب في باكورة حياته ببغداد :

(أ) ما قاله المؤرخون :

لقد قال المؤرخون ان الرازي ترك الري وقصد بغداد حينما كان يناهز الثلاثين او الاربعين . وأكدوا انه عكف على دراسة الطب في تلك السن المتأخرة[٦]

---

١) انظر ياقوت ج ٢ ص ٩٠١ س ١٥–١٨ – الذي عين ابا صالح حاكماً للري هو ابن محمد احمد بن اسميل بن احمد بن أسد بن سامان ، ثاني ملوك البيت السامانى .

راجع :— E. G. Browne, *Revised translation of the Chahar Maqala of Nizami —i— 'Arudi of Samarqand*; Gibb Memorial Series, vol. XI, 2, London, 1921, p. 150.

٢) رسائل فلسفية ص ١٥ .

انظر كذلك مقال مايرهوف في *Islamic Culture*, XV (1941) 47

٣) هذا اذا قبلنا تاريخ مولد الرازي الذي حدده البيروني (٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م) . في هذا ما يؤيد رأينا في ان الرازي قد درس الطب في حداثته ، لا كما يقول المؤرخون : «انه تعلمه وقد كبر» .

٤) ابن القفطي ص ٢٧١ س ٢١ ، ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣١٠ س ٢٢–٢٣ ، طبقات الامم ص ٥٣ .

٥) الفهرست ص ٢٩٩ س ١٠ ، البيروني ص ٦ ، ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣١٤ س ٩ ، ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ .

٦) ابن ابي اصيبعة ج ١ ص ٣٠٩ س ١٧ .

بعد دراسات طويلة في الموسيقى والكيمياء والعلوم الطبيعية[1] . ولكننا رغم ذلك سنقدم الدليل على ان الرازي اهتم بجمع المعلومات الطبية وهو صغير السن. وقد يؤدي ذلك الدليل الى قبول تاريخي مولد وفاة الرازي اللذين حددهما البيروني[2] ، فان بعض العلماء قد تشككوا في صحة هذين متذرعين بكثرة الكتب وغزارة المادة الطبية التي تركها الرازي ، وانه من غير المعقول ان يكون قد انجز هذه الاعمال وقد بدأ في دراسة الطب متأخراً في سن الثلاثين او الاربعين ، ثم انه توفي في سن مبكرة[3] .

(ب) ما ورد في نص مخطوط Marsh 537

في خزانة مكتبة بودليانا باكسفورد ، يوجد ملخص لمدة وصفات وعلاجات يسميها الرازي « تجارب المارستان » ، ومكتوب ايضاً ان ذلك الملخص « مما كتبه الرازي في حداثته ببغداد » . وفي هذا القول ما يخالف الرأي الذي أجمع عليه بشأن السن التي بدأ فيها الرازي يتعلم الطب . ويتضح من قراءة ذلك النص بساطة المادة الطبية وبدائيتها ، وانه لم يكن للرازي في كتابتها اي جهد واضح ، ولا شخصية المبتكر ، وذلك بخلاف طريقته التي اشتهر بها في التأليف من نقد ما ينقله والتعقيب عليه . وانما نشاطه في هذا الملخص لا يعدو النقل والتجميع مما يؤيد حداثة عهده بالطب . والى القارئ النص الذي عثرنا عليه :

« تجارب المارستان »

« مما كتبه محمد بن زكريا ببغداد في حداثته :

طبيخ الزوفا يسقون لسعال اليابس ، والربو ، وعلل الصدر : فان كان البطن يابسها جعلوا فيه لبّ الخيار شنبر ، وان كان ليناً مفرطاً حذروه منه وسقوا بدله

انظر كذلك : J. Freind. *The History of Physick from the time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, 45.

١) ابن خلكان ج ٤ ص ٢٤٥ ، الصفدي ج ٣ ص ٧٦ ، ابو الفدا ج ٢ ص ٣٤٦ .
انظر كذلك : L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe*, Paris, 1876, I, 337

٢) انظر هذا المقال ص ١٦١ .

٣) انظر مقال روسكا في *Archeion*, V (1924) 345

لعوق الورد . والمتنبيان يسقون مقين[1] اذا كان معه سعال ، وان اشتد الامر في الربو والسعال سقوا لبن الآتن .

حب الشيطرج يسهل قليلا يسقونه لاسخان البدن وتنقية المفاصل .

حب الايارج يسقونه للرأس والعين ، فاذا كان البول منصبغاً سقوا بدله طبيخ الاهليلج او حبه ، فان كان مع ذلك في الصدر خشونة سقوا مطبوخاً[2] ليس فيه شيء يقبض . ماء الشعير يسقون مع سكر كثير للذي طبيعته شديدة اليبس ، وللمعتدل بسكر معتدل ، ولمن جاوز الاعتدال وحده . والذي به مغص ونفخه ، ويتوقع ذلك ، يحتاج الى ماء الشعير — يسقونه ماء سويق الشعير المطبوخ كيلا ينفخ و(ذلك) بعد ان يضربوا[3] ضرباً جيداً ويجعلوا[4] معه صمغ مقل[5] . ويجعلون اذا كان الاستطلاق مفرطاً جريش مقل[6] . وان كان مع ذلك الحر مفرطاً جعلوا معه الخشخاش ، لا سيما فيمن لا ينام البتة ، ويسقون للمسلول الذي به حمى دائمة لا تفارقه الا انها تشتد عليه اذا أطعم بعده بساعة ، ماء الشعير . ويسهلون ايضاً طبيعة من يحتاج الى ذلك وفي حلقه خشونة باقراص البنفسج ، او حبه ، او لعوق البنفسج المسهلة قدر ثلاث ملاعق .

حب الاصطمخيقون يسقون لمن به وجع في الصلب واحتاج الى نعظ[7] و(كان) مع ذلك بارد المزاج فان كان مفرطاً[8] بارد المزاج جعلوا فيه حب منقى نصف شربه . التمرى لريح غليظة وقولنج بارد ، او شمر بارثان[9] .

وقرص الطباشير يذهب بحمى قرية العهد ، وممسك لمن يختلف وليس فيه دم وخراطة ، ولمن به دم وخراطة مع سفوف الطين ، ولمن به نفخة كثيرة مع استطلاق ، مع قميحة حب الرمان .

ويفصدون الباسليق من وجع الصدر اذا كان الكبد قوية ، ويجذبون الدم الى خلاف الموضع .

---

١) مقلينا : ص ٣ .
٢) مطبوخ : ص ٧ .
٣) أن يضربون : ص ١٠
٤) ويجعلون : ص ١٠ .
٥) مقل : ص ١٠ .
٦) جاروش مقلوا : ص ١١
٧) نفض : ص ١٥ .
٨) مفرط : ص ١٦ .
٩) باران : ص ١٧ .

ولمرق النسا لا يفصدون حتى ينقوا البدن بالقيء كي لا تحدث الزمانة للكثرة ما ينجذب الخلط الى ذلك الموضع .

وللسقطة يفصدون على المكان .

ولاحتباس البول يحقنون بحقنة ملينة ويسقون بنادق البزور .

ولاحتباس الطبيعة يسقون أدوية القولنج ويجلسون في الابزن ، ١٨٢ وجه ليحل الثقل ، ويحقنون على قدر ما يرون من صعوبة العلة وسهولتها ، ويتدرجون من الحقن اللينة الى الحارة قليلًا قليلًا اذا اضطروا اليه ولم تجب الطبيعة ولا تنحل .

حب القل يسقون للبواسير . ويضمدون بأضمدة ، ويحقنون من تفادى به الخلفة بعد شهرين .

قال ابو العباس :

ان المسلول الذي به حمى باطنة قد علقت بالاعضاء الاصلية ، فمنفعته في ماء الشعير والابزن ، فيدلكون بالدهن .

لا يطعمون العليل يوم حماه قبل النوبة خاصة ، ويطعم بعد النوبة اذا استنقت العروق من الحمى ، وان لم تستنق[1] العروق سقوه ماء الشعير لانه لا يستحيل ، مرطب ، ومبرد الاعضاء الاصلية[2] . »

(ج) مقارنة بين مذكرات الرازي في حداثته ، واسلوبه في كتبه بعد ان اكتسب خبرة ومرانا .

كان للرازي مذكرات خاصة نُشرت بعد وفاته وسميت «الحاوي» . وان اول ما يسترعي انتباه القارئ لهذه المذكرات هو المقتطفات العديدة التي اقتبسها المؤلف من عدد غير قليل من الكتب الطبية القديمة ، وفي هذا دليل كاف على سعة اطلاعه وعلى ان خزائن الكتب ببغداد كانت عامرة بتراجم لكتب يونانية ، وهندية ، وسريانية[3] . وفي كتابة هذه المذكرات الخاصة دأب الرازي

---

١) تستنق : س ٧ .

٢) مخطوط ٥ ورق ١٨١ ظهر س ١ — ١٨٢ س ٧ .

٣) انظر ايضًا فهرست كتب جالينوس التي ترجمها حنين بن اسحق العبادي وتلاميذه .

على ذكر اسم كل مؤلف او مؤلف يستعير منه او ينقل عنه وكان الرازي حريصاً على ان يعقب على كثير مما ينقله عن آخرين ، مبدياً رأيه الخاص بقبول أو رفض ما كتبه عنهم ، او باضافة ما يراه ناقصاً ، او بتلخيص ما نقله . وتتميز مذكرات الرازي بانه كثيراً ما يبني آراءه الخاصة على تجاربه ومشاهداته. ولكي يميز بين آرائه الخاصة وآراء الآخرين ، نجده يكتب ما يخصّه مسبوقاً بكلمة «لي» ، وأما في النص السابق في مخطوط *Marsh 337* فلا نجد كلمة «لي» اطلاقاً ، وبدلاً منها يستعمل الكاتب باضطراد «واو الجماعة» ، وربما اراد بذلك الاشارة الى اطباء المارستان ، او الى مؤلفي ذلك الكتاب الذي كان يقتبس منه الوصفات والعلاجات .

واني اذكر مثالاً واحداً للمقارنة بين ما كتبه الرازي في حداثته ببغداد « في علاج السقطة » وبين كتابته في نفس الموضوع في احدى مؤلفاته حيث تتضح خبرته: كتب الرازي في حداثته انهم «للسقطة يفصدون على المكان»[1]. وفي كتاب الطب المنصوري ، وهو كتاب ذو طابع علمي ممتاز مما حدا باوربا اللاتينية الى ترجمته واستعماله مرجعاً في كلياتها الطبية الى نهاية القرن السادس عشر[2] يقول المؤلف :« في السقطة والضربة على الرأس ، وسائر البدن » .

«اذا حدث سقطة او ضربة عن دابة او غير ذلك ، فان الاجود ان يفصد العليل من ساعته من الجانب المخالف ، ويجتنب اللحم والشراب خاصة ، ويطلى الموضع ويضمد بالمقوية . فان كانت السقطة على الرأس ، فليفصد العرق المسمّى القيفال ، ثم يوضع على الرأس خل ممزوج مع الدهن ورد ثلثة امثاله ، وماء ورد يشرب صرفه ، ويطلى[3] به ، ويسقى العليل ماء الشعير ويقتصر به عليه غدوة وعشية ثلثة ايام ، حتى يؤمن »[4] .

---

١) راجع مقال براجستراسر : *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes, XVII* (1925).

وراجع مقال مايرهوف في : *Isis*, VIII (1926) 670-701.

٢) مخطوط « ورق ١٨١ ظهر س ٢٢

٣) انظر : D. Cambell, *Arabian Medicine*, London, 1926, II, 67-68 ; C. Elgood, *A Medical History of Persia and Eastern Caliphate*, Cambridge, 1951 pp. 201; 208.

٤) يقلى : مخطوط د ص ١٦٥ س ١٨ . ٤) مخطوط د ص ١٦٥ س ١٦-١٨ .

الخلاصة :

من منطوق أسلوب النص السابق نفهم ان الرازي كان في حداثته طالب طب ، او طبيباً محدثاً يمارس او يتمرن في بيمارستان بغداد ، ويجتمع المعلومات لاستعماله الخاص ، محاولاً الالمام بالعلاجات الناجعة والوصفات الشافية التي كان يستعملها ذوو الخبرة من اطباء البيمارستان ، ويظهر أنه انتخب هذه العلاجات والوصفات من كتاب كان في متناول أطباء المارستان ، وربما كان اسم ذلك الكتاب — على ما يظهر — « تجارب المارستان »[1] .

ويتضح من قراءة هذا المقال خطأ آراء المؤرخين في سن الرازي عند بدء اشتغاله بالطب ، ولعل قراءة المخطوطات المبعثرة في شتى مكاتب العالم تبدينا الى بعض ما نجهله عن سيرة الرازي .

الرموز :

أ — مخطوط طب ١٤١ دار الكتب المصرية .
ب — مخطوط Or. 1701 مكتبة الجامعة بكيمبردج .
ج — مخطوط Or. 1512 مكتبة الجامعة بكيمبردج .
د — مخطوط ١٢٠٥ ب مكتبة البلدية بالاسكندرية .
هـ — مخطوط Marsh 337 مكتبة بودليانا باكسفورد .

---

١) مثلاً قد ألف داود بن ابي البيان (القرن السابع الهجري) كتاباً اسمه « الدستور البيمارستاني » .

انظر : P. Sbath, *Ad-Dustur al-Bimaristani*, le formulaire des hopitaux d'Ibn abi — L — Bayan, médecin du Bimaristan an - Nacery au Caire au XIIIe siècle, bull. de l'Inst. d'Egypte, t. XV. Le Caire. 1933, pp. 13-87 .

ولكننا لم نعثر في كتاب حاجي خليفة ، ولا في غيره من المراجع على كتاب اسمه « تجارب المارستان » ، هذا وان الرازي دون في كل باب في مذكراته الخاصة المعروفة باسم الحاوي وصفات علاجية نقلاً عن « تجارب المارستان » .

مثلاً راجع : كتاب الحاوي في الطب ، طبعة حيدر آباد سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م ، ج ١ ص ٢١٠ س ٧ ، ج ٢ ص ٨١ س ١٨ .

وصف المخطوطات

طب ١٤١ دار الكتب المصرية :

خواص الاشياء: من ١١٩ ظهر الى ١٣٧ وجه ٢٠×١٢ سم (١٥ × ٩ ½)، ٢١ سطرًا، الثالث من ربيع الاول سنة ٩١٣ (في ورق ١١٨ ظهر)، نسخي واضح، بعض الورق تالف وبعضه في غير موضعه فالورق ١٣٢ هو أصلا ١٢٣ والورق ١٢٣ أصله ١٣٢ .

Or. 1701 مكتبة الجامعة بكيمبردج :

المنصوري : ٢٧٥ ورقة ٢٢ × ١٢ ½ سم (١٥×٧) ، ١٥ سطرًا، محرم سنة ١١٥٩ (في ورق ٢٧٥ ظهر)، عشر مقالات، نسخي جيل، مستورد من حضرموت (في ورق ١ وجه)، ١٣٦٧م. تاريخ تمليك (يظهر في ورق ٢٧٥ ظهر).

Or. 1512 مكتبة الجامعة بكيمبردج

المنصوري : ٣٠٠ ورقة، ١٩×٢٧ سم (١٤ ½ × ٢١، ١٥ × ٢١ ½)، ٢٥—٢٧ سطرًا ثم ١٥—١٩ سطرًا، ربيع الآخر سنة ٥٧٩ (في ورق ٢٠٠ وجه)، عشر مقالات، نسخي واضح، ناسخان، الاول ورق ١—٣٩ ثم ١٦٩ وجه—٢٠٠ وجه، والثاني ورق ٤٠ وجه ١٦٨ ظهر، بين الورقتين ١٨ و ١٩ يوجد الورق ٤٩ الى ٤٨ مقلوبا .

١٣٠٥ ب مكتبة البلدية بالاسكندرية :

المنصوري : ١٦٩ ورقة، ٢٩×٢٢ ½ (٢٠ ½ × ١٤)، ١٨ سطرًا، الثلاثا. ٢٣ من رجب سنة ٨٩١ (في صفحة ٣٣٤)، عشر مقالات، نسخي واضح، نُسخ في بلدة الاذرنة من بلاد اليونان على يد المتطبب المازندراني حسام بن أشمس الدين الخطيبي الحسيني المعروف باسم سيد خطابي المنجم .

Marsh 537 مكتبة بودليانا باكسفورد :

عدة كتب منها الاقراباذين للرازي من ١٥٨ وجه س ٥ الى ١٨١ وجه

س ٢٢ وتجارب المارستان للرازي من ١٨١ ظهر س ١ الى ١٨٢ وجه س ٧ ، ١٦×٢٣ (٢/١١×٢/١٨) ، ٢٣ سطراً ، غير مؤرخ ونسخ على الاغلب في القرن السابع الهجري ، الخط نسخي جميل .

المراجع العربية والارقام

ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء طبعة بولاق ١٨٨٢-١٨٨٤ .

ابن خلكان : وفيات الاعيان طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩ .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣ .

ابن الندم : الفهرست ، ليبسك سنة ١٨٧١ .

ابو الفداء : ريسك (عربي ولاتيني) ، اكسفورد سنة ١٧٩٠ الجزء ٢ .

البيروني : رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي - كراوس باريس سنة ١٩٣٦ .

البيهقي : تاريخ حكماء الاسلام ، دمشق سنة ١٩٤٦ .

رسائل فلسفية : كراوس القاهرة سنة ١٩٣٩ .

الصفدي : ديدرنغ ، دمشق سنة ١٩٥٣ .

طبقات الامم : الاب شيخو ، بيروت سنة ١٩١٢ .

ياقوت فستنفلد ، ليبسك ، ١٨٨٦-١٨٧٠ .